

خطبة الجمعة - الخطبة ٦٨٢ : خ ١ - واقع المسلمين اليوم مع أعدائهم ، خ ٢ - الصيام وآلية الهضم .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٢-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله نحده ، ونستعين به ونسترشد به ، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلن تجد له وليناً مرشدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنـه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعده للمؤمنين :

أيها الأخوة الكرام ، يقول الله عز وجل :

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْئاً يَسْتَضْعُفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبَّحُ أَبْنَاءُهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَئْمَةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنَمُكِّنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذِرُونَ﴾

[سورة القصص: ٤٦]

الله جل جلاله في القرآن الكريم يحذّرنا ، ومن أصدق من الله حديثاً؟ فزوال الكون أهون على الله من ألا يتحقق وعده للمؤمنين ، قال تعالى :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

[سورة التور: ٥٥]

والآية التي تتم هذه الآية قوله تعالى :

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيَّاً﴾

[سورة مریم: ٥٩]

ويلقى المسلمون هذا الغيّ تتفيداً لِتَقْصِيرِهِمْ فِي أَدَاءِ الصَّلَاةِ ، وَاتِّبَاعِ الشَّهُورَاتِ .

ارتباط نصر الله بالاصطلاح معه و العودة إليه :

أيها الأخوة الكرام ، من الأدعية القرآنية قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة البقرة: ٢٨٦]

والله سبحانه وتعالى يطمئن المؤمنين
فيقول :

﴿ إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١٦٠]

اقرؤوا القرآن أيها الأخوة فيه إجابات
لكل التساؤلات ، قال تعالى :



اقرؤوا القرآن فيه إجابات لكل التساؤلات

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلُكُونَ مِنْ قِطْمَيرٍ ﴾

[سورة فاطر : ١٣]

وقال تعالى :

﴿ وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَيَاءِ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾

[سورة هود: ١١٣]

هذه الآيات الكريمة لا تحتاج إلى شرح ، واضحة ببينة ، وما علينا إلا أن نصلح مع الله ، ونعود
إليه ، لأنّه حقّ لنا عند الله أن ينصرنا ، قال تعالى :

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج : ٤٠]

ارتباط كثرة الخبث بالهلاك العام :

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(وَيَلِلْلَّهُ عَنِ الْمُجْرِمِ مَنْ شَرِّقَهُ قَدْ اقْتَرَبَ أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ)

[أبو داود عن أبي هريرة]

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَتَنَا كَقِطَعَ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُعْسِي مُؤْمِنًا
وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))

[مسلم عن أبي هريرة]

وعن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت :
((استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه يقول : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا إِلَهَ
من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وعقد سفيان تسعين أو مائة
قيل : أئمك وفيانا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث))

[البخاري عن زينب بنت جحش]



وقال بعض شراح الحديث : هذا
الحديث ينسحب على قوله تعالى :
﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

[سورة الأنفال : ٢٥]

حينما لا يأمر المسلمين بالمعروف ،
ولا ينهون عن المنكر ، ولا يحملون
هموم المسلمين .

لابد أن نحمل هموم المسلمين

وفي رواية عن زينب ابنة أم سلمة عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش أنها قالت :
((استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومة وهو محمر وجهه وهو يقول : لَا إِلَهَ إِلَّا
اللهُ وَلَا إِلَهَ مِنْ شَرٍ قد اقترب ، فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج وعقد بيده عشرة قالت
زينب قلت : يا رسول الله أئمك وفيانا الصالحون ؟ قال : إذا كثر الخبث))

[ابن ماجه عن زينب بنت جحش]

وفسر الجمهور الخبث بالفسق والفجور ، وقيل : المراد الزنا خاصة ، والظاهر أنه المعاشي
مطلقا ، ومعنى الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام ، وإذا كان هناك صالحون ،
هذا شرح الإمام الترمذى لـ صحيح مسلم .

إيمان يبدل طبيعة النفس ويغير مطامحها ويصلح ميولها :

أيها الأخوة الكرام ، ماذا على المسلمين أن يفعلوا ؟ قال تعالى :

﴿ وَأَعْدَوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمَنْ رِبَاطُ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ
دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوْفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

[سورة الأنفال : ٦٠]

الإيمان وحده شرطٌ لازمٌ غير كافٍ ، والإعداد وحده شرطٌ لازمٌ غير كافٍ ، بل إنَّ علاقة الإيمان بالنصر علاقة رياضية ، علاقة سبب بنتيجه ، والدليل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْبُوْا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةً يَغْبُوْا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

[سورة الأنفال: ٦٥]

يا أيها الأخوة الكرام ، يتضح من خلال هذه الآية الكريمة أنَّ معادلة النصر في حالة قوة الإيمان واحد إلى عشرة ، وفي حالة ضعف الإيمان واحد إلى اثنين ، وفي حالة انعدام الإيمان النصر للأقوى عدداً وعدة ، وقوّة واستعداداً ، وما إلى ذلك لأنَّ الإيمان يُبدِّل طبيعة النفس ، ويُغيّر قيمها ، ويُغيّر مطامحها ، ويُصعد ميلولها ، ويرفع برغباتها ، ويُخفّف من متابعتها وهمومها ، ويُقوّي رجاءها ، وأملها ، يقلُّ أحزانها أفراحاً ، ومحاربها مغانم ، تؤكّد هذه الحقيقة وصيحة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : (أما بعد ، فإنني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله عز وجل على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وامررك ومن معك أن تكونوا أشدّ احتراساً من المعاصي عليكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوْفُ عليهم من عدوهم ، فإنما ينصر المسلمين بمعصيَّة عدوهم ، ولو لا ذلك لم تكن لنا بهم قوّة ! لأنَّ عدَّنا ليس كعدهم ، وأنَّ عدَّنا ليست كعدهم ، فإذا استوينا في المعصيَّة كان لهم الفضل علينا في القوّة) .

الإيمان وحده يغرسُ في النفس الشجاعة والإقدام :

الإيمان أيها الأخوة يعني أنَّ يعتقد الإنسان اعتقاداً جازماً أنَّ له أجلاً لا يتقى ولا يتأخّر ، هذا الإيمان وحده يغرسُ في النفس الشجاعة والإقدام ، وروح التضحية والإيثار ، سيدنا خالد رضي الله عنه وهو على فراش الموت قال : (لقد حُضْتُ سبعين معركةً أو زهاءها ، وما في جسمي موضع شبرٍ إلا وفيه ضربةٌ بسيف ، أو طعنة بالرمح ، وهذا أنا أموت على فراشي حتف أنبي ، فلا نامتْ أعين الجنباً) .

وممَّا يؤكّد علاقة الإيمان بالنصر أنَّ الظروف الصعبة التي يضعف أمامها الإنسان غير المؤمن ، وتُذلُّه وتُحدِّد مصيره لا يمكن لها أن تؤثِّر في المؤمن الحقّ ، ولا أن تُبعدَه عن متابعة سيره ، ولا أن تُحدِّد مصيره الذي رسمه له الأعداء ، قال تعالى :

﴿ وَكَائِنُ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهُنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعَفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾

[سورة آل عمران : ١٤٦]

التطبيق العملي لعلاقة النّصر بالإيمان :

أيها الأخوة الكرام ، هذا التطبيق العملي لعلاقة النّصر بالإيمان ، ففي معركة بدرٍ كان المؤمنون قلةً مستضعفين ، وكان المشركون كثرةً مستكبرين ، وكان المؤمنون مفقرین مقلبين ، وكان المشركون مستعينين معرضين ، فاستحقَّ المؤمنون النّصر ، بسبب إيمانهم وافتقارهم ، ودعائهم وإعدادهم جُهد استطاعتهم ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرْتُكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذْلَةُ ﴾

[سورة آل عمران: ١٢٣]

أي نصرَّهم وهم ضعافٌ مُستضعفون ، لكنَّهم يوم حُنَيْن استجعوا كلَّ أسباب النّصر المادية من وفرة العدد ، وكثرة العدد ، واستجعوا أسباب النّصر المعنوية حيث دانت لهم الجزيرة العربية ، ولكن زلتْ بهم القدم إلى الاعتماد على هذه الأسباب ، الأمر الذي أضعفَ افتقارهم إلى الله تعالى ، واعتمادهم عليه ، فجاء التّأديب الإلهي بقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ نَصَرْتُكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنٍ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَّتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾

[سورة التوبة: ٢٥]

أيها الأخوة الكرام ، الله عز وجل يقول :

﴿ وَأَعْدَوْا لَهُمْ مَا مَسْتَطَعُتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمَنْ رَبَطَ الْخَيْلَ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنَقِّلُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

[سورة الأنفال: ٦٠]



يجب إعداد كل أنواع القوّة المتاحة لمواجهة العدو

القوّة مطلقة ، فكلَّ أنواع القوّة يجب أن يُعِدَّها المؤمنون ، ولكنَّ رحمة الله بالمؤمنين كلفهم بإعداد القوّة المتاحة ، وليس بإعداد القوّة المكافئة ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيُّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيُّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيُّ))

[مسلم عن عقبة بن عامر]

وهو مقياسٌ خالد للقوّة ، وعنصر أساسى في كسب المعارك مما اختلفت أنواع الأسلحة وتطورت ، ومستوياتها الفنية ، فعنْ عُقبةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ :

(([وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ] ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيمُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيمُ))

[مسلم عن عقبة بن عامر]

المواقف الأخلاقية و البطولات الفذة التي ظهرت من أصحاب النبي الكريم :

هذه الحقائق أيها الأخوة مستتبطة من القرآن الكريم ، ومن منهج الإنسان المؤمن، وتلك التوجيهات التفصيلية والتوضيحية التي جاءت بها سنة نبينا عليه الصلاة والسلام ، وهذا المواقف الأخلاقية الرائعة والحكيمة ، والتي وقفها المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوتنا وقدوتنا، وتلك البطولات الفذة التي ظهرت من أصحابه أمناء دعوته ، وقاده ألويته نضعها بين أيدي أبناء أمتنا العربية ، وهي تخوض المعارك تلو المعارك مع أعدائها أداء الحق والخير !

لما فرغ الناس من قتلهم في أحد قال النبي عليه الصلاة والسلام : من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟! أفي الأحياء هو ألم في الأموات ؟! فذهب رجل من الأنصار فوجده جريحاً في القتل ، وبه رمق ، فقال له : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت ألم في الأموات ؟ فقال : أنا في الأموات ، أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنِّي السلام ، وقل له : إنَّ سعد الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبِيَا عنْ أُمّته ، وأبلغ قومك عنِّي السلام ، وقل لهم : إنه لا عذر لكم عند الله إنْ خُلصَ إِلَيْ نبِيِّكم ، وفيكم عينٌ طرُفٌ ! كان سعد بن الربيع في أعلى سعادته حينما لقيَ الله وقد أدى واجبه ! قال : فلم أُبرح حتَّى مات ، فجئتُ النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرتهُ خبري فبكى حتَّى أخضل لِحِينَهُ ! ما هذه السعادة أيها الأخوة التي كانت تملأ جوانح سعد بن الربيع ؟! لقد ظهرت في ضوء هذه المبادئ ، وتلك القيم ، بطولات فذة يندر أن نرى مثلها في المجتمعات التي أدارت ظهرها لِمنهج الله ، وانغمست في وُحول الشهوات ، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا مِنْ بَعْدِهِمْ خَلَفَ أَصَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيَّاً ﴾

[٥٩] سورة مریم:

من هذه البطولات الفذة بطولة سيدنا جعفر في مُؤْتة ، لما وصل المسلمون إلى مؤتة ، وهي قرية واقعة على مشارف الشام ، وجدوا أنَّ الروم قد أعدوا لهم مئة ألف ، وتناظرهم مئة ألف أخرى ، أما جيش المسلمين فكان ثلاثة آلاف ! وما أن التقى الجماعان ودارت رحى المعركة حتَّى خرَّ زيد بن حارثة صريعاً مُقِبلاً غير مُدبر ، فما أسرع أن جاء القائد الثاني سيدنا جعفر بن أبي طالب وثبتَ عن ظهر فرسه ، وحمل الرأية ، وأوْغَلَ في صفوف الروم ، وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترب لها طيبة وبارد شرابها
و الروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

عليّ إنْ لاقِيْتُهَا ضرَابِهَا

1

وَظَلَّ سَيِّدُنَا جَعْفَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَجُولُ فِي صَفَوْفِ الْأَعْدَاءِ وَيَصُولُ حَتَّى أَصَابَتْهُ ضَرَبَةٌ قَطَعَتْ يَمِينَهُ، فَأَخْذَ الرَّاِيَةَ بِشَمَالِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ أَصَابَتْهُ ضَرَبَةٌ أُخْرَى قَطَعَتْ شَمَالَهُ، فَأَخْذَ الرَّاِيَةَ بِعَضْدِيهِ وَصَدَرِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ أَصَابَتْهُ ثَالِثَةُ شَطَرَتُهُ شَطَرْيْنِ ! بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَصْرُعَ سَيِّدِنَا جَعْفَرَ - تَقْيِيمَهُ هَذِهِ الْقَصَّةَ - وَكَانَ الْقَادِيُّ ثَالِثُ سَيِّدِنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، وَعَلَى نِيمَةٍ الرَّوَايَاتُ أَنَّهُ تَرَدَّ ثَلَاثِينَ ثَانِيَةً ، وَقَالَ :

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلُ تَمُوتِي هَذَا حِمامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتُ

إِنْ تَفْعُلِي فِعْلَهُمَا رَضِيَّتْ وَإِنْ تُولِيَتْ فَقْدَ شَفَّيَتْ

* * *

فأخذ الراية فقاتل بها حتى قُتِلَ ، قال عليه الصلاة والسلام : " أخذ أخوكم زيد الراية فقاتل بها حتى قُتِلَ ، وإنّي لأرى مقامه في الجنة ، ثمّ أخذ الراية أخوكم جعفر ، فقاتلَ بها حتى قُتِلَ ، وإنّي لأرى مقامه في الجنة ، ثمّ سكت النبي عليه الصلاة والسلام ، فقلقَ الصحابة عن أخيهم عبد الله فقالوا : يا رسول ما فعل عبد الله؟! قال : ثمّ أخذ الراية أخوكم عبد الله وقاتلَ بها حتى قُتِلَ ، وإنّي أرى في مقامه ازوراراً عن صاحبيه " كلّ هذا لأنّه تأخرَ ثلاثينَ ثانيةً مقدار هذين البيتين في بذل نفسه في سبيل الله ، لما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام مصرعَ سيدنا جعفر ، انطلقَ إلى بيت سيدنا جعفر بنِ نفسه احتراماً لأهله ، فوجّد زوجته أسماء ، تتأهّب لاستقبال زوجها الغائب وقد عجّنت عينيها ، وغسلتْ بناتها ، وألبسنهما ، قالت أسماء : فلما أقبلَ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيْتُ دلالةً من الحزن توشّح وجهه الكريم ، فسرّت المخاوف في نفسي ، غير أنّي لم أسأله عن جعفر مخافةً أن أسمعَ منه خبراً أكرهُه ! فحيّ النبي صلى الله عليه وسلم أسماء وقال : ائتي ببناء جعفر ، فدعوتُهم له ، فهبووا نحوه فرحين ، وأخذوا يتزاحمون عليه كلّ ي يريد أن يستأثر به ، فأكّبَ عليهم صلى الله عليه وسلم ، وجعل يتشمّسُهم ، وعيناه تذرفان من الدمع ، فقلتُ يا رسول : بأبي أنت وأمي ما يُبكيك؟! أبلغَكَ عن جعفر وصاحبِيه شيء؟! قال : نعم ، لقد استشِهدوا هذا اليوم ! عند ذلك غاصَت البسمة من وجوه الصغار ، لما سمعوا أمّهم تبكي ، وجمدوا في أمكنتهم كأنّ على رؤوسهم الطير ، أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى وهو يُكَفِّي عَرَاته وهو يقول : اللهم اخلف جعفراً في ولده ، اللهم اخلف جعفراً في أهله ، ثمّ قال : رأيْتُ جعفراً في الجنة له جناحان مدرجاً بالدماء ، وهو مصبوغ القوادم ! هكذا كان أسلافكم أيّها الأخوة وهكذا كان أجدادكم ، أعزّهم الله بالنصر المبين لأنّهم اصطلحوا معه ، ونفّدوا منهجه في بيوتهم .

أيها الأخوة الكرام ، إلههم هو إلها ، وربهم هو ربنا ، والقوانين هي هي ، والستن هي هي ، لم تبدل ولم تتغير ، فالصلح الصالح إليها الأخوة ، أقبلوا ، وأنبوا إليه ، واصطلحوا معه ، وعودوا إلى كتابكم وسنة نبيكم قال تعالى :

﴿ وَلَا ترْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾

[سورة هود: ١١٣]

حاجة المسلمين إلى آيات التوحيد :

أيها الأخوة الكرام ، هذه حقيقة ، والحقيقة المرأة أفضل من ألف مرة من الوهم المريح ، فلا يعيشوا في الأوهام ، قال تعالى :

﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

[سورة القصص: ٧٠]

وقال تعالى :

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة الفتح: ١٠]

ما علينا إلا أن نصطلاح مع الله ، قال تعالى :

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[سورة فاطر : ٢]

فنحن في أمس الحاجة إلى آيات التوحيد ، قال تعالى :

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾

[سورة الشعراء: ٢١٣]

الله وحده الذي يرفع ، ووحده الذي يخفض ، ووحده الذي يعزز ويذلّ ، ووحده الذي يعطي وينعم ، ووحده الذي ينصر ويخلد ، ولكن العلماء قالوا : لا ينبغي أن تقول أن الله ضار ! فمن أسمائه الضار ، ولكن ينبغي أن تقول : هو الضار النافع ، والمعطي المانع ، والمعز المذل ، لأن يأخذ ليعطي ، ويذل ليعز ، ويضر لينفع ، ويخفض ليرفع .

وعود على بدء ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَتُرِيدُ أَنْ نَمْنَعَ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً ﴾



خ ١ - واقع المسلمين اليوم مع أعدائهم

وَجَعَلْهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذِرُونَ ﴿٤﴾

[سورة القصص: ٤-٦]

هذه القوّة الغاشمة والمتغطّسة في العالم ، التي تستبيح الدّماء ، وحقوق الشّعوب ، تمثّلها هذه الآية السابقة ، ونرجو الله أن ينطبق علينا شطر الآخر ، قال تعالى ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمْنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلْهُمُ أَئِمَّةً وَنَجْعَلْهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾

[سورة القصص: ٥]

أيها الأخوة الكرام ، حاسبو أنفسكم قبل أن تحسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنَ عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا ، وسيتخطّى غيرنا إلينا ، فلنأخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواه ، وتمني على الله الأماني ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولهم الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

ال الحاجة إلى الطعام :

أيها الأخوة الكرام ، كنت قد أعدت لكم خطبة عن الصيام ، ولكن الأنباء المؤسفة التي سمعتموها جميعاً اضطررتني أن أحول الموضوع إلى موضوع آخر ، ولكن شطر الخطبة الثاني هو هذا :

قال بعض العلماء المتخصصين في التغذية : ليس علم الإنسان بوظائف الطعام هو الذي يدفعه إلى تناول الطعام

! ولكن الإحساس بالجوع الضاغط وشهوة الطعام الباعثة لها اللذان يحرّكان الإنسان إلى الطعام ، أما حاسة الجوع فتدفع الإنسان إلى ما يسد حاجته من الطعام ليبقى حياً ، وأما شهوة الطعام الباعثة فهي وسيلة ، وليس غاية ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان من أدعيةه : " الحمد لله

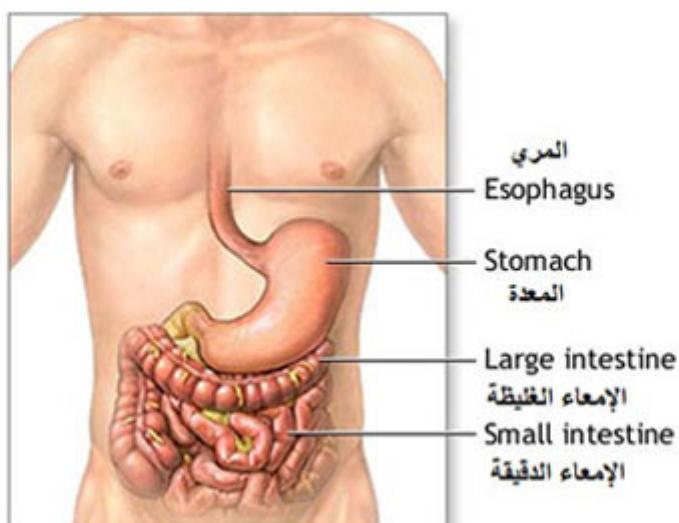


الشعور بالجوع ولذة الطعام تبنينا أحياناً

الذى أذاقنى لذته ، وأبلى في قوته ، وأذهب عنى أذاه " فمن نعم الله عز وجل أن هذا الذى هو سبب في بقاء حياتك طيب المذاق ، فهناك الحاجة إلى الطعام بدافع الإحساس بالجوع ، وهناك لذة الطعام ، فقد يستكمل حاجته إلى الطعام بسائل يُحقن في دمه ، ولكن الله عز وجل تفضل علينا فجعل هذا الطعام ذا طعم لذى ، فشهوة الطعام وسيلة ، فإذا جعلها الإنسان غاية اضطراب الجسم ، أنساس كثيرون عن سوء تقدير منهم ، أو عن ضعف في إرادتهم يجعلون شهوة الطعام غاية ، وإذا أصبح الطعام غاية يتغطى ما يسميه العلماء بالجرس الخفي الذي يدق حين الجوع فقط ، تتغطى وظيفة هذا الجرس ، فالمعدة كما قال عنها العلماء : تتمدد مرات عديدة ، فمن حجم ابتدائي - مئتان وخمسون سنتيمترًا مكعبًا إلى ألفين وخمسين سنتيمتر مكعب - فحينما تتمدد المعدة يصبح الطعام هدفًا ؛ نعيش لتأكل ، هذا تمهد .

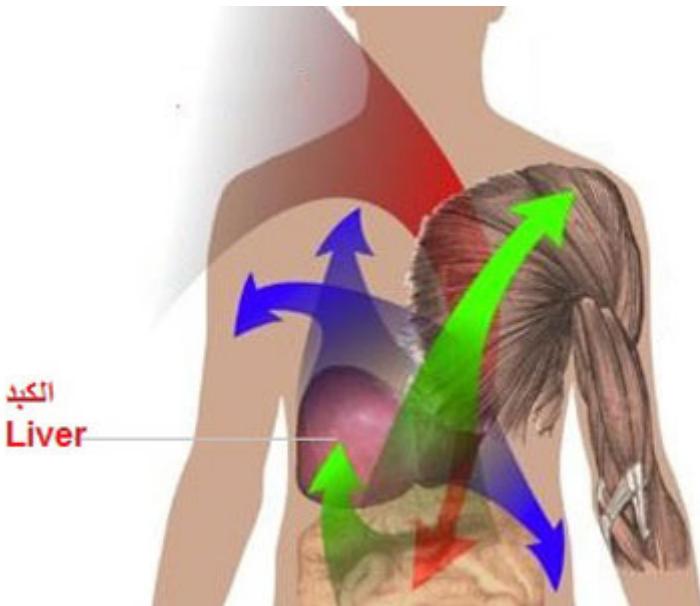
آلية تصميم الأبدان للتعامل مع مركبات الطعام :

هناك حقيقة عجيبة جداً ، ولكنها ثابتة على نحو قاطع ، وهي أن الآليات تعامل الأبدان مع الطعام تستوجب الصيام ، فقد صمم المولى جل وعلا الأبدان على نحو يُهيئ التعامل مع مركبات الطعام وفقاً لآلية تسير بانتظام وتوافق في ثلاثة مراحل ، وهذا بحث مهم جداً . المرحلة الأولى : مرحلة هضم الطعام في المعدة والأمعاء ، ثم الامتصاص والتمثيل ، وتحويل الطعام إلى سكر يسري في الدّماء ، وإلى مواد أخرى مرممة يستخدمها الجسم لإطلاق الطاقة ، وبناء الأنسجة .



المرحلة الأولى: هضم الطعام في المعدة والإمعاء

المرحلة الثانية : مرحلة تخزين الفائض من الطاقة ، التي تزيد عن حاجة الجسم ، فالسكر الفائض يُخزن في الكبد والعضلات على شاءٍ حيواني ، ويُخزن الفائض الذهني في معظم أنحاء الجسم .



المرحلة الثانية: الفائض من الطاقة يخزن في الكبد والفائض الدهني في أنحاء الجسم فالأولى هضم وامتصاص واستهلاك ، والثانية تخزين ، والمرحلة الثالثة هي مرحلة فتح مخازن الطاقة ، وتحويل السكر والدهون إلى سكر وأحماض دهنية لإطلاق طاقتها في الجسم . دقّقوا أيّها الأخوة ، المرحلة الثالثة لها ميزة خاصة ، وهي أنها لا تحدث مطلقاً إذا لم يمتنع الإنسان لفترة زمنية محددة عن تناول الطعام ، فالمهمة الثالثة معطلة ما لم يمتنع الإنسان عن تناول الطعام .

فيزيولوجيا خلق الأبدان تقتضي الامتناع عن تناول الطعام :

أيها الأخوة الكرام ، قال العلماء : يبدأ مستوى السكر في الدم من ثمانين إلى مئة وعشرين ميلigramma في كل سنتيمتر مكعب ، هذه نسبة السكر في الدم ، وبعد صيام ست ساعات تختفي هذه النسبة ، وهنا تتجلى عجيبة من عجائب الجسم البشري ؛ مركز بالدماغ - لا يعنيكم اسمه الدقيق - يرسل إلى الغدد الصماء رسائل عاجلة يطلب منها العون والمدد ، فالكظر يفرز هرموناً يحث على تحويل النشاء الحيواني في العضلات والكبد إلى سكر بوساطة هرمون ، والغدة الدرقية تفعل مثل ذلك عن طريق إفراز هرمونها ، فهي تحث سكر الدم المخزن في العضلات والكبد على أن يطلق ويستهلك لأن نسبة السكر في الدم انخفضت بعد ست ساعات من الصيام ، والغدة الأخرى هي البنكرياس ، تفعل مثل ذلك عن طريق هرمون يحث هذه المخزونات على الانطلاق كي تستهلك ، فإذا استهلك الإنسان ما هو مخزون عنده من السكر في عضلاته وكبده ، يتحول العمل إلى الدهون المخزنة فتهدمها ، وتحرر طاقتها ، وقد أكدت الأبحاث العلمية ازدياد احتراق الدهون طوال ساعات الصيام ، واستهلاك الدهون المتراكمة في مناطق ترسّبها على الجسم .



يزداد احتراق الدهون طوال ساعات الصيام ليزود الجسم بالطاقة

أيها الأخوة ، حقيقة مذهلة ، فكل كيلو غرام من الأنسجة الدهنية يحتاج إلى ثلاثة كيلو متر من الأوعية الشعرية التي يسري خلالها الدم ، وهذه عبء على القلب ، فلو أن الإنسان زاد حجمه عشرة كيلو غرام ، فهذا دليل أن به ثلاثمئة كيلو متر أوعية شعرية زائدة ! وقال العلماء : إنَّ فизيولوجيا خلق الأبدان تقتضي الامتناع عن تناول الطعام ، لماذا ؟

لإراحة الوظيفة الأولى والثانية ،
والإتاحة الفرصة لعمل الوظيفة الثالثة ،
فالصيام ترتاح به وظيفة هضم الطعام
وامتصاصه ، وترتاح الوظيفة الثانية
وهي تخزينه ، وتبقى الوظيفة الثالثة
وهي هدم المُدْخَرات الدهنية وإحراقها ،
واستهلاك المُدْخَرات الدهنية في
العضلات والدم ، فلكون الصيام
ضروري لكل إنسان كانت هذه



الفريضة على كل الأمم والشعوب ، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة : ١٨٣]

ولكن هذا البحث العلمي يعني شيئاً دقيقاً ، وهو أنَّ الصيام عبادة ، وقربٌ من الله ، ومزيدٌ من الاتصال بالله ، وكل عمل ابن آدم له إلا الصيام الله يجزي به ! فالصيام نقوية إرادة الإنسان ، وأن تشعر بضعفك البشري ، فهذا البحث العلمي لا يخدش مهمَّة الصيام الأولى وهي العبادة ، والقرب ، ولكنَّ أمر الله متتنوع فهو عبادة ، وهو قرب ، وهو تحجيم ، وهو صلة ، وافتقار .

اللهم اهدا فیمن هدیت ، وعافنا فیمن عافت ، وتولنا فیمن تولیت ، وبارك اللهم لنا فیما أعطیت ،
وقدنا واصرّف عننا شرّ ما قضیت ، فإنك تقضي بالحق ، ولا يقضی عليك ، وإنك لا يذلّ من
والیت ، ولا يعزز من عادیت ، تبارکت ربنا وتعالیت ، ولک الحمد على ما قضیت ، نستغفر لك
ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحًا يقربنا إليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا
آثرنا ولا تؤثّر علينا ، أرضينا وارضنا عنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، اسقنا الغيث ولا
تجعلنا من القاطنين ، ولا تهلكنا بالسینين ، ولا تأخذنا بفعل المیئین ، اللهم بفضلک ورحمتك
أصلح لنا دیننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دُنیانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا
التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زادًا لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ،
مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبطاعتك عن
سواك ، اللهم لا تؤمننا مكرك ، ولا تهلك عن سترك ، ولا تتسلى ذرك يا رب العالمين ، اللهم
بفضلک ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيده ولا تهم إلى
ما تحب وترضى ، إنه على ما تشاء قدیر ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين